الذات والآخر في لحن انتصار الياسمين

د. نبيل هادي ناهي
العراق ـ مديرية تربية محافظة بابل

The self and the other
in (lahn entisar Alyasameen)

dr . Nabeel Hadi Nahi
Iraq - Babel Education Directorate
Hadinabeel@gaml com

تاريخ الاستلام ٢٠٢١/١٠/١٢
تاريخ القبول ٢٠٢١/١١/٢٩

ملخص

تناولت في هذا البحث الذات والآخر في ديوان (لحن انتصار الياسمين) للشاعر الديواني (معن غالب سباح), عرضت في التمهيد موضوعين، أولهما: تعريف بالشاعر وبدايات شعوره بالملكة الشعرية, وعناصر تكوينه الثقافي, وبمن تأثر من الشعراء العرب, وما هي إصداراته الشعرية, والجوائز التي حصل عليها، وثانيهما: مفهومي الذات والآخر. وتناولت بعد ذلك علاقة الذات والأخر في لحن انتصار الياسمين في أربعة محاور.

Abstract

In this research, I dealt with the Self and the Other in the (lahn entsar alyasameen) by the Diwani poet (Maen Ghaleb Sebbah). In the preface, I presented two topics, the first: an introduction to the poet and the beginnings of his feeling of the poetic, the elements of his cultural formation, and who was influenced by Arab poets, and what are his poetic publications, And the awards he received, and the second: the concepts of self and the other. Then it dealt with the relationship of the self and the other in the melody of the victory of Jasmine in four axes.

مقدمة

قيل قديماً إن الشعر ديوان العرب، وإنه يتضمن أحداثاً اجتماعية فضلاً عن طبيعته الفردية. وعلى الرغم من أن الطبيعة الفردية للشعر تهيمن غالباً على المضامين الاجتماعية في العصر الحاضر، إلا أن

هناك من الشعراء من يبتدعون آخر خيالياً يحاورونه في شعرهم، ومن الشعراء من يضمّن الآخر الحقيقي في شعره، ومن هنا تنطلق أسئلة البحث، فمن هو الآخر في شعر معن غالب سباح؟ وهل هو قامع للذات أم مقموعاً، وهل كانت ذات الشاعر فاعلة أم منفعلة؟ وهل هيمن الآخر المؤتلف أم المختلف في شعر الشاعر؟ هذا ما يحاول البحث الإجابة عنه، وتفصيل القول فيه. وبناءً على ذلك اخترت مجموعة (لحن انتصار الياسمين) للشاعر (معن غالب سباح)؛ لأني وجدت في هذه المجموعة هيمنة لتلك الحوارات والعلاقات الثنائية.

ولا يخلو أي بحث من معوقات تقف حائلاً أمام الباحث، ومن تلك المعوقات التي واجهتني هي قلة المصادر عن سيرة الشاعر، وهذا ما تطلب أن ألجأ إلى محاورته شخصياً لأكشف عن سيرته الذاتية بقدر ما يتعلق منها بالبحث في شعره.

وقد دعت منهجية البحث إلى أن أقسمه على مقدمة وتمهيد وأربعة محاور. تناولت في التمهيد سيرة الشاعر ومفهومي الذات والآخر، ثم درست في المحور الأول (أثر التقاليد والأعراف على الذات)، ودرست في المحور الثاني: (ذوبان الذات في الآخر المؤتلف)، ثم درست في المحور الثالث: (أثر وتأثير المرأة المؤتلفة على ذات الشاعر)، أما المحور الرابع، فقد درست فيه (أثر الشعور بالفقد على الذات). بعد ذلك وضعت خاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

تمهيد

أولاً : معن غالب سباح: النشأة والتكوين

ولد الشاعر معن غالب سبّاح الشباني في قضاء الشامية التابع لمحافظة الديوانية سنة 1962م, وهو خريج دار المعلمين في الديوانية سنة 1978م, تخرج من الكلية التربوية المفتوحة سنة 2005م, كتب الشعر منذ أواخر السبعينيات من القرن العشرين, ولم يعلن نفسه شاعراً إلا بعد عام 2003م. وهو عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين منذ العام 2009م, لديه مجموعة شعرية مطبوعة بعنوان (لحن انتصار الياسمين)[1], صدرت عام 2013م, ولديه مجموعتان شعريتان مخطوطتان قيد الطباعة، والشاعر مشارك فاعل في عدد من المهرجانات الشعرية الوطنية ولأكثر من دورة ومنها: (المربد, والجواهري, والمتنبي, ومصطفى جمال الدين, وملتقى عالم الشعر, والكميت, وكزار حنتوش, والجود, ومهرجان التمّار, ومهرجان نيبور, وبابليون, ومهرجان المعلم الأدبي, ومهرجان الأخوة العربية الكردية في أربيل, ومهرجان المسرح العراقي ضد الإرهاب. عمل في سلك التعليم وهو الآن متقاعد.[2]

---

[1]() لحن انتصار الياسمين, معن غالب سباح, وهي المجموعة التي تناولها البحث بالدراسة.

[2]) حوار مع الشاعر بتاريخ 26 – 3 – 2017.

وقد حاور الباحث الشاعر معن غالب:[3] ليقف على سيرته الذاتية ومنطلقاته الفكرية، وكان خلاصة ما تمخض عنه الحوار أن بداية الشاعر الشعرية كانت من طفولته عندما كان يقترح مفردات ضمن كلامه، وكان والده (رحمه الله) يشخص شاعريتها, وحين انتبه أساتذته إلى شاعريته، طلبوا منه أن يلقي بعضاً من شعره في التفتيش المدرسي الصباحي. وقد اهتم به أساتذته أكثر حينما وجدوه ينفعل عند القراءة، إذ كان يبكي وهو يلقي قصائده، فصاروا يلحّون على تقديمه وبشكل يومي, ثم بدأت بواكير الكتابة البريئة لديه في منتصف السبعينات لتنضج أدواته الشعرية في بداية الثمانينات.

نشر معن غالب أولى قصائده في الصحف المحلية العراقية, ثم نشر في مجلة (كل العرب) و (الفيصل), أما عن تأثره بالآخر الشاعر, فقد تأثر بوالده الذي كان راوية لكبار الشعراء من الجواهري إلى المتنبي, إلى مصطفى جمال الدين إلى البحتري, وكل أمات قصائد شعراء العربية عبر عصورها، لكن الشاعر لم يحاول أن يتلبس تجربة شاعر بعينه، إذ خط تجربته الشخصية التي تشبهه، وقد انتبه الشاعر العراقي محمد حسين آل ياسين إلى مدى تشابه الشاعر وشعره فقال عنه: (إن الشاعر الوحيد الذي شعره يشبهه هو معن غالب سباح). وفضلاً عن مقولة الشاعر الكبير محمد حسين آل ياسين أنفة الذكر، فقد قيل عن الشاعر معن غالب سباح إنه)) شاعر وإعلامي له حضور فاعل في المشهد الثقافي الديواني, اشترك في العديد من المهرجانات الشعرية في العراق ونال العديد الجوائز التقديرية, نشرت قصائده في الصحف والمجلات العراقية, قدم بعض البرامج الثقافية في عدد من الفضائيات في العراق, صدرت له المجموعة الشعرية الأولى بعنوان (لحن انتصار الياسمين) النجف الاشرف 2014, عضو الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء والكتاب في الديوانية)). [4]

عمل الشاعر معن غالب الشباني مقدماً للكثير من البرامج الثقافية والدينية والاجتماعية من على شاشة قناتي (الغدير والنعيم), ومن أهمها برنامج (منصة الذكوات) الأسبوعي الذي أستمر لأكثر من سنتين.

وقد حصد الشاعر كثير من الجوائز نذكر منها: الجائزة الثالثة في مهرجان السلام القطري في النجف. والجائزة الأولى في مهرجان المعلم الأدبي في كربلاء المقدسة 2008 عن قصيدته (الوطن الجريح). والجائزة الثالثة في مهرجان المعلم الأدبي في كربلاء المقدسة 2011 عن قصيدته (على وجع أراك).

---

[3]) المعلومات أخذت من الشاعر في لقاء معه, وبعضها من موقعه على شبكة التواصل الاجتماعي.

[4]() الدغارة : سيرة مدينة سومرية (1877 م – 2003 م : 507.

ثانياً : في الذات والآخر

1- في الذات : من الصعوبة بمكان قراءة الذات بمعزل عن الآخر في كثير من الأحايين, إذ إن وجود أحدهما يستدعي حضور الآخر, فهما يتمركزان في الوحي الشعري والفكر الفلسفي للشاعر, إذ يحاول الشاعر تأكيد ذاته بمساعدة ومعاونة الآخر. وقد اهتم علماء النفس التحليلي، وعلى رأسهم فرويد، بعلاقة الذات بالآخر، إذ يرى فرويد أن الذات تتضمن الآخر، وذلك من خلال تقسيمه الذات على ثلاثة أقسام، وهي: (الذات الدنيا) و(الذات) و(الذات العليا)، وترتبط (الذات الدنيا) بملذات الفرد وغرائزه، في حين ترتبط (الذات) بضبط العلاقة بين الفرد ومجتمعه، أما الذات العليا، فهي تعبر عن صورة السائد في النفس، بمعنى أنها تمثل القوانين والأعراف التي تقييد الفرد.[5] وهي هنا تمثل الجانب الاجتماعي الذي يسكن الفرد، وإن ((من أهم جوانب الأنا التي تقع داخل نطاق اهتمامات عالم النفس الاجتماعي، ما يعرف باسم "الذات المنعكسة" كأنما تنعكس على سطح مرآة، هذه المرآة هي المجتمع، وهذه الذات تخيّلنا لما نبدو عليه في نظر الآخرين)).[6] وبهذا يكون ((المجتمع مرآة يرى الفرد فيها نفسه، ومفهوم مرآة الذات هو أن الفرد يرى نفسه بالطريقة التي يراها به الآخرون)).[7] وتجدر الإشارة هنا أن الذات ليست المجتمع بالضبط، إنما هي مرآة تعكس صورة المجتمع.[8]

وقد قسم العالم الاجتماعي ساربين (1952م) الذات على ثلاثة أقسام أيضاً، إذ قال عنها إنها: ((بناء معرفي يتكون من أفكار الشخص عن مختلف نواحي وجوده، فمفهومه عن جسمه هو (الذات البدنية)، ومفهومه عن أعضاء الحس لديه هو (الذات الحسية)، وعن سلوكه الاجتماعي هو (الذات الاجتماعية)، ويعتقد ساربين أن هذه الذوات تتكون بشكل ارتقائي منظم فالذات البدنية أولا ثم الذات الحسية، وأخيراً الاجتماعية))،[9] . وقد أفاد النقد الأدبي مما نظر له علم النفس وعلم الاجتماع، فصار حضور الذات والآخر ظاهرة أدبية في نقدنا العربي, إذ تستخدم الذات عادة بمعنى الشخصية ((حيث يجري اعتبارها بمثابة عامل (**Agent**) يعي هويته المستمرة. وتستعمل أحيانا بمدلولها الواسع فتطلق على حيوان أو حتى شيء مادي يعتبر كعامل من العوامل، كما يتم استخدام اللفظة كبادئة في كلمات مركبة أو على غرار كلمة منفصلة ومستقلة, فتصبح على صيغة النعت أو الصفة)). [10]ومن تعريفات الذات بمعنى الشخصية أنها ((التنظيم المتسق والدينامي لصفات الفرد الجسمية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية, حسب تجليها للآخرين في مجال

---

[5]() ينظر: مبادئ علم النفس الفرويدي ،كالفن – س هول ، تعريب : 22.
[6]() مقدمة في علم النفس الاجتماعي: 181.
[7]() م. ن:181.
[8]() ينظر: جدل الأنا والآخر في الشعر الجاهلي : 93.
[9]() مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق : 26.
[10]() موسوعة علم النفس: 125.

الأخذ والعطاء داخل الحياة الاجتماعية)).[11]ويمكن أن تحدد الذات من طبيعة الشخصية نفسها كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين بقوله عن الذات: ((إنها جانب الشخصية الذي يتكون من مفهوم الفرد عن نفسه، وتعد طريقة إدراك الشخص لنفسه محصلة لتجاربه وخبراته مع الآخرين، ولطريقة تصرفهم نحوه للانطباع الذي يدركه من نظراتهم إليه، وتتطور الذات عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي))[12]. والذات الشاعرة ((هي حقيقة الشاعر، هويته الشخصية، ما به يكون الشاعر ذاته، أي شاعراً بعينه وليس أي شاعر، أي مقومات وجوده الواقعي أو الموضوعي بوصفه (إنساناً + متميزاً) أو موهوباً، أو بوصفه كائناً اجتماعياً تنهض فيه إمكانية التفرد))؛[13]لذلك فإن الذات المبدعة هي ذات منفعلة ليست مهمتها أن تصور ما تراه كما هو، بل تتأمل الشيء لكي ترى ما تصوره في لحظة الانفراد الذاتي، وهذا ما أشار إليه حاتم الصكر بوصف الشاعر يتمتع بميزةٍ فنية في روايته الحدث الذي سيقع في لحظة التأمل التي يختلف بها عن المؤرخ الذي يقوم بسرد الحدث عند وقوعه،[14]فالشاعر يختلف عن غيره في أنه يترجم تجاربه على شكل قصائد يعبر بها عما يختلج في نفسه بكلمات نابعة من ذاته.

2 - في الآخر:

يلازم الآخر الذات ويرتبط بها، فهو يحضر بحضورها ويختفي باختفائها, فالتناسب بينهما طردياً, والآخر هو نقيض الذات ومستقلا عنها, على الرغم من أنه موجود داخل النفس البشرية سواء أكان هذا الآخر صديقاً أم عدواً أم غير ذلك.

والآخر بماهيته ((ذلك الكائن المختلف عن الذات, وهو مفهوم نسبي ومتحرك؛ لأن الآخر لا يتحدد بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات. هذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة)) [15].فالآخر له أهمية في الفلسفة الفرنسية السارترية وفي علم النفس اللاكاني، ولعل ((سمة الآخر المائزة هي تجسيد ليس فقط كل ما هو غريب "غير مألوف" أو ما هو "غيري" بالنسبة للذات أو الثقافة ككل, بل أيضا كل ما يهدد الوحدة والصفاء))[16]. بمعنى أن الآخر لا يقتصر على الإنسان، فقد يكون الوطن أو الثقافة أو العقل الجمعي أو غير ذلك من أفكار يتم تجسيدها كعنصر مغاير، سواء أكان هذا العنصر مؤتلفاً مع الذات أو مختلفاً أو محايداً.

---

[11]() م.ن : 148.

[12]() صورة الذات بين أبي فراس الحمداني ومحمود سامي البارودي: 21.

[13]() الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية: 12.

[14]() ينظر: كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر:12.

[15]() تمثلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط: 20.

[16]() دليل الناقد الأدبي, : 21 .

وتأتي أهمية الآخر بالنسبة لسارتر مثل أهميتها بالنسبة للاكان لكنهما يختلفان في دور الآخر في الوجد حيال الذات، فهو يرى أن ((وعي الذات الوجودي يتأسس تحت تحديق الآخر؛ لكن الآخر ليس آخرا خيِّرا , بل ينطوي على عداء يدمر "إنسانيتنا"...))[17], فسارتر يرى أن الآخر هو الجحيم، مختلفاً مع لاكان الذي رأى أن الآخر ربما يكون جحيماً أو برداً وسلاماً أو عواناً بين ذلك.

أما الآخر عند فوكو، فهو الموت بالنسبة للجسد الإنساني, هو ((اللامفكر فيه في الفكر نفسه, أو هو الهامشي الذي يستبعده المركز, أو هو الماضي الذي يقصيه الحاضر.. فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون الآخر))[18]. نلاحظ أن ميشيل فوكو ينظر للآخر بوصفه هامشاً لمتن الذات، وهنا نجد أن فلسفة فوكو تعتمد الذات بوصفها مركزاً أو متناً، وما الآخر إلا هامشاً معضداً للمتن يشرحه ويوضحه. وهنا يقف فوكو على الحياد بين لاكان وسارتر عن طريق ابتداع طريقة جديدة تبناها النقد الثقافي في فلسفة ما بعد الحداثة التي كان ميشيل فوكو أحد منظريها، وهي فكرة المركز والهامش.

أما من الجانب الأدبي ولا سيما الشعري، فالأنا أو الذات الشاعرة ملازمة للآخر، إذ إن وجودها مرتهن بوجود الآخر سواء أكان ذلك الآخر حبيباً أم عدواً أم مكاناً أو غير ذلك, فلا بدّ للذات أن تقيم علاقة مع الآخر؛ لأنها ضرورة من ضرورات الحياة؛ للتواصل مع الآخرين, فالفرد لا يمكنه أن يعيش بمفرده من دون لقاء الآخر والتواصل معه, فمن خلال التواصل والاحتكاك يمكن للفرد اكتشاف ذاته والتعرف إلى قدراته مقارنة مع ذوات الآخرين وقدراتهم، علماً أنه لا يشترط أن يكون الآخر إنساناً، إذ يمكن أن يكون شيئاً آخر غير الإنسان، نحو المكان أو الفكر أو الدين وغيرها.

الذات والآخر في شعر معن غالب سباح

سأدرس تحت هذا العنوان موضوعات الذات والآخر التي هيمنت في شعر معن غالب سباح في مجموعته: (لحن انتصار الياسمين)، وهي:

المحور الأول: أثر التقاليد والأعراف على الذات

---

[17]() م . ن : 21 - 22.

[18]() م . ن : 22 .

تمارس التقاليد والأعراف ضغوطاً على الإنسان بشكل عام، وعلى الشاعر بشكل خاص، وتسبب تلك الضغوط ألماً للذات، إذ لا بد للشاعر أن يكون حراً لا يستجيب لتلك الضغوط. ولكي أقف على ما تضغط به التقاليد على الشاعر، نقرأ لمعن غالب مقطعاً من قصيدته: (أنا وبيروت) التي جاءت على تفعيلة (فاعلاتن)، يقول فيه:

"وأنا يا ربوة الحسن صريع

جئت من شلال ضيمي

أملي يكبر

في لثم الصبايا

بعيوني

وأنا يا وردة الفل المطرز

بالجمال

ساحتي ليلٌ

ونفسي في هيام

ها هو البحر أمامي

وورائي كل أحلامي استفاقت

رقص الشيب برأسي

جئت كي أغسل

في البحر ضميري"[19]

يبدأ الشاعر مقطعه في مخاطبة (بيروت) التي يأمل أن تمنحه شيئاً من الحرية، والحرية في هذا المقطع محددة بحرية العلاقة بين الرجل والمرأة، إذ يتألم الشاعر من عدم مقدرته على لثم الصبايا، وهو هنا يصرح بأقل مما يجب، فهو يطمح في أن يلثم الصبايا بعيونه، بمعنى أنه يطمح إلى أن يتخيل أنه يلثم الصبايا، الأمر الذي يدعونا إلى القول: إن ألم الشاعر الذاتي كبير، فهو قد رحل عن تقاليد بلده التي تقيده، إلى بيروت التي يأمل منها أن تمنحه بعضاً من الحرية، لكن من الواضح أن التقاليد مهيمنة على ذات الشاعر، فهو لا يتمكن من الانفكاك من أسوارها؛ لذلك وضع تركيب: (بعيوني) ليقيّد عملية اللثم. ومن الجدير بالملاحظة أن الشاعر كتب قصيدته هذه على نمط الشعر الحر، الأمر الذي يمكننا من القول أن الشاعر يطمح إلى التحرر من الآخر التقاليد الذي يحاصره ويقيد حريته ويسبب له الألم.

---

[19]() لحن انتصار الياسمين: 15-16 .

وقد تتألم الذات الفردية الممثلة للذات الجماعية المؤتلفة من قبل السلطة المستبدة التي تقمع الذات وتسلبها حريتها، ونقرأ في هذا الصدد مقطعاً من قصيدة (أنه عمري) التي جاءت على تفعيلة (فاعلاتن):

"إنني يا أيها الدهر سجين

شهروا في وجهي

الأعزل سكينا

وسموني ذبيحاً للعراق

فأقمت العرس

في زنزانتي الظلماء

مزهوا بسجني

لم أبال، أبصيف أو مساء؟"[20]

نلاحظ للوهلة الأولى في هذا النص أن الشاعر يتحدث عن نفسه، لكن المتمعن في النص يجد أن الشاعر يتحدث عن ذاته وذوات أخرى يأتلف معها في مقابل السلطة المستبدة وهي هنا الآخر القامع، بمعنى أن ذات الشاعر جماعية، وأن هناك نوعين من الآخر: أخر مؤتلف مع ذات الشاعر، وآخر مختلف عمل على قهر النوع الأول بجزئيه، لكن الشاعر يحاول التكيّف مع الموقف القهري ويحقق النصر على الآخر القامع عن طريق صموده وصمود الآخر المؤتلف بوصفهما ذاتين ذائبتين ببعضهما.

المحور الثاني : ذوبان الذات في الآخر المؤتلف

قد تذوب الذات في آخر مؤتلف؛ لتواجه آخر مختلف، وغالباً ما يكون الآخر المؤتلف مدينة من مدن البلاد التي ينتمي إليها الشاعر، أو البلاد نفسها، وغالباً ما يقيم الشاعر معن غالب علاقة ثنائية ما بين الألم الذي يسببه الشعر، والألم الذي تسببه المأساة الجماعية، ونقرأ ذلك في قصيدة (مأساة شاعر) التي جاءت على تفعيلة (فاعلاتن):

"حرفٌ ودمٌ

شاعرٌ يحملُ روحاً

فوق كفَّ من ألم

عمرهُ يشبه ساعات انتظارٍ

---

[20]() م. ن : 15-16 .

يلبث الجندي فيها

مثل مسلوب الإرادة

فهو يرنو صابراً

نحو بساتين السعادة

في بلادٍ نست الأمن

وعادت تتغنى بالقنابل

ونشيد ردد الموت الملثم

تحت عنوان غريب"[21]

نلاحظ أن الشاعر قد ابتدأ مقطعه بالحديث عن نفسه بصيغة الحديث عن الآخر، وهو هنا يعالق بين الذات والآخر، وقد تمحورت العلاقة حول الألم، فورد في القصيدة تركيبات من مثل : (كف من ألم)، (مسلوب الإرادة)، (بلاد نست الأمن)، (تتغنى بالقنابل)، (نشيد ردد الموت)، وقد تجلى ألم الشاعر في أن حلمه ببساتين السعادة أصبح ميؤوساً منه على مستوى البلاد، فنجد أن ذات الشاعر قد انشطرت إلى نصفين، نصف يعبر عن الذات الفردية للشاعر، ونصف يعبر عن الذات الجماعية للبلاد، وهي هنا (العراق)، في مقابل آخر معاد، سواء أكان ذلك الآخر، جزءاً من الذات الجماعية، أم كان عدواً خارجياً يتبرص بالبلاد.

ونقرأ ذوبان الذات في الآخر المؤتلف في قصيدته (مقطع عرضي في حياة عراقي مظلوم) التي جاءت على تفعيلة (فاعل):

"في بغداد

ارمٌ عادت بعد قرون

تتأرّم حقداً دموياً

يفترش الأرصفة الملئى

بالأجساد

يغتال عيون قلائدنا

يذرف دمعا تمساحياً

---

[21]() م. ن: 107-108.

والآتون

بأقدام صفراء اللون

فوق السرف الأمريكية"[22]

تبرز في هذا المقطع علاقة ثلاثية مركبة من ذات فردية، وذات ذائبة في آخر مؤتلف، في مقابل آخر مختلف، ونجد أن ذات الشاعر قد ذابت في بغداد التي تمثل الآخر المؤتلف، وهي تشكو من الآخر المختلف المعادي لبغداد وإنْ أظهر أنه يعمل لأجلها. ومن الملاحظ أن الشاعر قد صرح بذوبان ذاته بذات بغداد في قوله: (يغتال عيون قلائدنا)، إذ إن الآخر المعادي هو الذي يغتال عيون قلائد الذاتين الممتزجتين معاً، ومن الجدير بالذكر هو أن النص يتناص مع إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وهنا يقارب الشاعر بين ما حدث لإرم ذات العماد وما يحدث لبغداد؛ ليقول أن سبب معاناة بغداد هو أن من جاء فوق السرف الأمريكية قد أفسد فيها، وأدى إلى خرابها.

المحور الثالث: أثر وتأثير المرأة المؤتلفة على ذات الشاعر

تؤثر المرأة المؤتلفة على ذات الشاعر معن غالب سباح في مواقف كثيرة من شعره، فنجده يتحدث عنها بوصفها حبيبة ينصاع إليها، وفي هذا الصدد نقرأ له من قصيدة : (مملكة الحب الساحر) التي جاءت على تفعيلة (فاعلن):

"أني وحياؤك أخجلني

أسلمتُ قيادي ليديك

للشفتين الرائعتين

للجسد العاجي

الثائر تحت الثوب"[23]

نلاحظ في هذا المقطع أن مفتاح التأثير كان حياء المرأة الذي أدى إلى خجل الشاعر، وهو هنا لم يعر للعقل والمعرفة اهتماماً عند الآخر، إذ جعل من الحياء مادة مؤثرة عند المرأة، وهو هنا يساير التقاليد السائدة التي ترى أن الحياء عند المرأة صفة إيجابية تعد أفضل من صفتي المعرفة والذكاء، فقد جعل حياءُ

---

[22]() م. ن: 114-115.

[23]() م. ن: 125.

المرأة الشاعرَ منصاعاً لها: (أسلمت قيادي ليديك). وبعد أن أسلم قياده ليديها وللشفتين، أجمل تعداد المؤثرات الشكلية، وذلك بعد أن أسلم قياده للجسد الذي وصفه بأنه ثائر، لكن ثورته كانت تحت الثوب. ولو قارنّا بين بداية المقطع ووسطه، نجد أن حياء المرأة كان اضطرارياً، وذلك لأن جسدها ثائر تحت الثوب، وهذا ما يدعونا للقول أن المرأة بوصفها آخر عند الشاعر، مقيدة من قبل آخر يحدُّ من حريتها، وكذلك يمكننا القول أن الشاعر نفسه محدد الحرية بسبب آخر لم يظهر في النص، آخر يقمع الشاعر أيضاً ويحد من حريته، وهو ذلك الآخر الذي جعله يركز على الجسد بدلاً عن التركيز على المعرفة والذكاء والجسد معاً، ونتمكن أن نتلمس ذلك أيضاً في مقطع من قصيدته (اللظى اللذيذ)، التي جاءت على بحر (الرمل) والتي يقول فيها:

"يا بعيدا عن عيوني كف عنــي وقريبا في خيـالِ تاه مني
كف عني خصرك الممشوق أمسى في جنون الشوق شوقـاً وتمني
وعيونٌ من نبالٍ ناعسات ـ الطرف لم تفتأ تصبني
كف عني أنت للولهان نجوى أنت بلواي التي اليوم ابتلتني"[24]

فعلى الرغم من أن الآخر المرأة المؤتلفة بعيدة عن الذات، إلا أن خيال الشاعر ركز على المحسوس من جسد المرأة، وهو (الخصر الممشوق) و(العينان الناعستان)، ولعل تركيزه على الجسد قد جاء بسبب التراكم الثقافي لدى مجتمع الشاعر الذي ينظر إلى المرأة بوصفها جسداً، وهذا ما يجعلنا نقول أن الآخر الجمعي قد أثّر بالشاعر، وجعله ينساق وراءه، سواء أكان ذلك الانسياق بعلمه أو من دون علمه، فصار الشاعر يتجاهل التجارب المعنوية المشتركة بينه وبين الآخر المرأة، ويتفاعل مع الشكل فقط.

المحور الرابع : أثر الشعور بالفقد على الذات

يتألم الشاعر في مواقف كثيرة، وهنا لا أعني الألم الفيزيائي المؤقت، إنما أعني الألم النفسي المزمن. وإن ألم الذات لابد أن يكون بسبب من الآخر. وفي هذا الصدد نقرأ لمعن غالب مقطعاً من قصيدته: (رجل الدماء الشريفة) الذي يقول فيها من (الوافر):

[24]() م. ن: 11.

"أصاب الدهر قلبي بالخطوبِ وجلجلت النوائب في دروبي
لفقدِ أحبتي كلفٌ حزين تقلبني الفواجع في الكروبِ
جراحاتٌ وسر الدهر يمضي على الإنسان في ترحٍ وطيبِ
رمتني[25] بجرحها تلك الليالي فأغدقت المشيب على المشيبِ
كريماتٌ بحزنٍ لا يجارى ضنيناتُ السرور على المثيبِ
رعاكِ الله يا تلك الليالي عرفتُ بها عدوي من حبيبي"[26]

يبدأ الشاعر مقطعه بتألم الذات بسبب الآخر الدهر الذي أصابه بالخطوب، ونلاحظ هنا أن الخطوب جاءت بصيغة الجمع، وهذا يعني أن الشاعر لم يُصب لمرة واحدة، إذ يتأكد ذلك في لفظ (النوائب) الذي جاء بصيغة الجمع أيضاً، الأمر الذي يجعل دروب الشاعر مليئة بالنوائب المجلجلة. ومن هنا نطلع على الألم الذي يعاني منه الشاعر. وبما أن (الدهر) لا يصيب على الحقيقة، فلابد من مؤثر آخر قد آلم الشاعر، وهذا ما نقرأه في البيت الثاني الذي يصرح فيه الشاعر عن السبب الحقيقي لألمه، وهو (فقد الأحبة)، وهنا يتألم الشاعر من عنصرين من الآخر، آخر مختلف وهو الدهر، وآخر مؤتلف وهم الأحبة المفقودين. أما في البيت الثالث، فنجد الشاعر يتحدث عن أحد أجزاء الدهر، وذلك في قوله: (تلك الليالي)، التي رمته بجرحها، وقد تفاقم جرح الشاعر إلى أن وصل إلى حد السخرية مما يتعرض له من ألم، ونجد ذلك في البيت الرابع الذي يصف فيه (الآخر الليالي) بأنها كريمات وهن يُحزنّ الشاعر، ثم يقابل الحزن بالسرور الذي تبخل فيه الليالي على الشاعر، لكننا نجد الشاعر يستعمل حيلة دفاعية (في البيت الخامس) الذي دعا فيه الله أن يرعى الليالي؛ لأنها بينت له العدو من الصديق. وهذه الحيلة تظهر لنا احتيال الشاعر على الألم، محاولاً التخلص منه بأن يجعله مفيداً.

---

[25]() (الياء) في (رمتني) زائدة على الوزن.، ولكي يستقيم الوزن، لابد من لفظ الياء (كسرة).

[26]() لحن انتصار الياسمين : 44.

١. مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق ،قحطان أحمد الظاهر ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، د.ط ، 2004م.

٢. مقدمة في علم النفس الاجتماعي، مصطفى سويف، دار الفكر العربي، القاهرة،ط4، 1966م.

٣. موسوعة علم النفس, أسعد رزوق, مراجعة: عبد الله عبد الدايم, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ط٣ , ١٩٨٧م.

الخاتمة

١- تفاعلت الذات في مجموعة (لحن انتصار الياسمين) مع نوعين من الآخر: آخر مؤتلف، وآخر مؤتلف.

٢- وجدنا أن ذات الشاعر تذوب في الآخر المؤتلف، وهنا تتحول الذات والآخر المؤتلف إلى ذات واحدة.

٣- إن ذوبان ذات الشاعر في الآخر المؤتلف تجعل من ذاته ذاتاً جماعية تتخلى عن فرديتها.

٤- تَمثل الآخر المختلف القامع للذات بالتقاليد والأعراف السائدة والسلطة المستبدة والدهر.

٥- توغل الآخر المختلف القامع إلى أعماق الذات عند الشاعر فجعله يمارس قمعه على نفسه سواء أكان ذلك بعلمه أم من دون علمه.

٦- يحتال الشاعر على ألمه بجعله ألماً لذيذاً طامحاً بالخلاص منه في المستقبل القريب لاسيما في خواتيم المقاطع والقصائد.

٧- ركز الشاعر على الشكل في التفاعل مع الآخر المرأة.

المصادر

القرآن الكريم.

١. تمثلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط), د. نادر كاظم, دار الفارس, بيروت, لبنان, ط 1, 2004م.
٢. جدل الأنا والآخر في الشعر الجاهلي، علي مصطفى عشا، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد(76) ،2001م.
٣. الدغارة: سيرة مدينة سومرية (1877م- 2003م), تأليف: راسم الأعسم, حسين الشباني.
٤. دليل الناقد الأدبي, ميجان الرويلي و د. سعد البازغي, المركز الثقافي العربي, بيروت, لبنان, ط5, 2007.
٥. الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، د. عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1, بيروت، 1419هـ- 1999م.

٦. صورة الذات بين أبي فراس الحمداني ومحمود سامي البارودي، ياسر علي عبد سلمان، دار نينوى للنشر والتوزيع، د. ط ، 2008م.

٧. كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر, حاتم الصكر, دار الشروق,ط1, تموز 1994م, عمان الأردن.

٨. لحن انتصار الياسمين, معن غالب سباح, دار الضياء للطباعة, النجف.

٩. مبادئ علم النفس الفرويدي ،كالفن– س هول ، تعريب : دحام الكيال، مطبعة الرصافي، بغداد، ط3، 1988م.